تفاعل التاريخي والروائي في "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج

أ.د. أحمد الجوة جامعة صفاقس–تونس

تابــع العــدد السابــق

الأبعاد النقدية والمواقف الظاهرة في الرواية

يختلف السرد التاريخي عن السرد التخيلي بما يظهره من حياد ونزوع قوي إلى التقديم الموضوعي لما جرى من أحداث وإلى تحقيق صحة الحدوث بالقرائن المختلفة من مراسلات ومذكرات ومعاهدات وشهادات حية يقدمها المشاركون في تلك الأحداث ومن عايش أطوارها. لكن السرد الروائي الذي يتوسل هذه الوثائق المكتوبة والشفوية في عمل قصصي يمثل التاريخ مادة الحكاية فيه، منها تتشكل الشخصيات والحوارات وأطوار الحدث ومعالم البناء، يتميز من السرد التاريخي بإبداء المواقف وضروب التعليقات الخاصة بالعالم المحكيّ.

ولّما كانت شخصية الأمير هي المركز الذي تدور عليه أحداث هذه الرّواية وكان السرد الروائي فيها موظفا بالأساس لبناء المعالم الكبرى للأمير وإبراز مناقبه ، فلا غرو أن يشمل هذا الأثر القصصي عديد المواقف والتعليقات التي تتسع بها أبعاد الشخصية وتتجلى بها المناقب. لا يسعنا في هذا الحيز من العمل تقصّي كل المواقف والتعليقات

التي أبداها الأمير في كامل الرّواية، حسبنا أن نتخيّر منها ما بدا أقوى وأعمق دلالة على نموذجية هذه الشخصية.

أ- الموقف من التاريخ والوعي التاريخي

يرد التفكير في التاريخ وفي كتابته موقفا مخصوصا بالأمير الذي صنع لنفسه تاريخا، ويكون الحديث في هذه المسألة خلال زيارة قام بها ديبوش وخادمه جون إلى الأمير الذي كان يملي على مصطفى بن التهامي سيرته الخاصة . لقد أكد الأمير أهمية كتابة التاريخ الشخصي بالرغم من الشهرة التي تجعل من لا يعرف الأمير جاهلا لزماننا وبرّر هذا العمل بالحرص على تدقيق هذا التاريخ وتخليصه من النقصان أو الزيادة. وأبرز موقف أظهره الأمير في كلامه المطوّل الخاص بالمسألة أن " التاريخ يكتبه المنتصرون" وأن " مشكلة التاريخ هي أن وراءه بشر وأهواء" ([53]).

يبدو هذا النظر في التاريخ من علامات التأثر القوي بما ذكره ابن خلدون في "المقدمة وكان الأمير كثيرا ما يخلو إليها. إنّ ما ذكره ابن خلدون خاصا بأغلاط المؤرخين ومنها اتباع الهوى ومناصرة السلطان والانتصار للمذهب وتمويل ما جرى إهارا للعقول والأفئدة هو الذي قدّر موقف الأمير في المسألة وبرّر حرصه على أن يمليها بنفسه حتى تكون سيرة حياته وجهاده موضوعية : " ليس أفضل من امرئ يقول تاريخه وينير الطريق للناس الذين قاسموه نفس الأشواق والآلام. الآخرون الذين يشتهون تأويل التاريخ كما تقول لهم رؤوسهم لا يسألون أحدا عندما يريدون الإساءة يا سيدي الفاضل" ([54]) .

لم يمنع انتماء الأمير إلى زاوية دينية مشهورة واعتقاده الراسخ في الجهاد من إظهار وعي تاريخي حاد ومن التعبير عن مواقف استشرافية يتجاوز بها الرؤية السلفية التي لا تني عن تمجيد الماضي وعن الدعوة إلى استعادته أنموذجا فريدا للحاضر.

يكشف الحوار الذي دار بين الأمير و"السي مصطفى" بن التهامي في آخر أيام السجن بقصر امبواز ما تميّز به الأمير من وعي تاريخي ومن إدراك لتبدل الأوضاع في العالم.

فحين أظهر " بن التهاميّ الحزن والندّم بسبب ما آلت إليه الأحوال ودافع عن حق المجاهدين في رفض التعامل مع " من أحرقوا الأحياء في جبال الظاهرة ..... أو قطعوا رأس سيدي مبارك وغيره " ([55]) واجههُ الأمير بكلام مطوّل صحّح به أخطاء شائعة عن فرنسا وأوروبا وعن نظرة المسلمين إلى أنفسهم وعن نظرهم إلى الآخرين. لقد عقد الأمير مقارنة بين من كانوا " يحفرون الأرض ويستخرجون التربة ويحوّلونها إلى قطارات بخارية وسفن حربية وسيارات وقوانين لتسيير البلاد" ([56]) في حين كنا غارقين في اليقينيات التي ظهر فيما بعد ضعفها وأننا نعيش عصرا انسحب وانتهى.([57])

إن وعي الأمير بالتحولات التكنولوجية المتسارعة وتساؤله عن قدرة المسلمين على ملاحقة نسقها وعلى تجاوز تخلفهم الحضاري يعبران عن هذا الوعي التاريخي القوي. يتكرر بروز هذا الوعي حين كان الأمير ومرافقوه على متن السفينة البخارية الأصمودي في عرض البحر مرتحلين عن وهران. فعقب الحوار الذي دار بين الأمير وقدور بن علال بخصوص توقيف القتال ضد جيش فرنسا وقبول الهدنة واختيار المنفى في الشرق العربي، وبعد أن تداخل الحاضر بالماضي فنقل السارد مقطعا من فصل الغريب لأبي حيان التوحيدي في ضرب من التمرئي النصي والنفسي وتخيل الأمير في ما يشبه الرؤيا مشهد حرق هذا الأديب كتبه ، ومشهد ابن عربي "يبحث عن مكان صغير له يختبئ فيه قليلا من صهد الشموس " ([58]) وبعد أن حاور الأمير ذاته وحاسبها وتأمل الواقع الجديد للحرب ، واستعاد ما كان من فتن في تاريخ المسلمين تمتم وهو لا يدري إن كان قد سمعه أحد : الزمن القادم سيكون عنيفا وقاسيا وسنكون فيه بعيدين، الشقة بيننا وبينهم صارت هوة . لقد طاروا وانكسرت أجنتحتنا الصغيرة" ([59]).

تصوير البون التاريخي والحضاري بين العرب المسلمين والغربيين، وإن توسل الصياغة المباشرة التي تضفي على الكلام بعدا تحليليا لا يكون من أبعاد الأثر القصصي لأنه من طبيعة المؤلفات الفكرية التي تتناول التقدم والتأخر وتحلل أسباب النهضة والتخلف تصوير فيه عمق الرؤية وبعض الصياغات التي تفي الكلام الروائي حقه لما تعدل به عن التحليل إلى التخييل على نحو ما ورد في آخر الشاهد السابق.

والأكيد أن اللقاء المباشر الذي تحقق للأمير بمعالم الحضارة في بعض المدن الفرنسية قد وجه عديد مواقفه ودقق نظره في مجريات الحضارة.

فحين غادر مدينة امبواز إثر الفترة التي قضاها فيها سجينا تولى السارد العليم في الرّواية نقل مشاعره وما توصل إليه من حقائق تاريخية وحضارية وما اكتشفه من تقدم تكنولوجي غيّر ميزان القوى بين الشعوب : " شعر الأمير بأن ما كان يحدث أمام عينيه كان مذهلا وكبيرا عرف لماذا خسر حربه الأخيرة : العالم كان يتغيّر بعمق وسرعة. لم يعد السيف والشجاعة يكفيان. فالمدافع الضخمة والآلات السريعة والسفن والعوامات البخارية التي تجوب الوديان والبحار وتنقل آلاف الناس والجيوش المجهزة والمنظمة ، غيّرت كل الموازين. الناس يشبهون عصورهم" ([60]).

هذا الوعي التاريخي المتنامي لدى هذه الشخصية بفعل الرّحلة وزيارة الدّيار الأجنبية (ديار الكفّار) بالكيفية التي تولّى السارد صياغة التعبير عنه ليس يختلف عن الوعي الذي تشكل لدى الرحالة العرب من أمثال الطّهطاوي والجبرتي والشدياق وابن أبي الضياف الذين دونوا في مؤلفاتهم معايناتهم لمآثر الحضارة الحديثة في البلاد الأوروبية ونبهوا إلى ضرورة الأخذ عن أوروبا ما يكون بأحوالنا لائقا ولنصوص شريعتنا موافقا.

هكذا تكون الصفحات الكثيرة التي خصصها السارد في"كتاب الأمير" لمشاهدات عبد القادر وتنقلاته بين بعض المدن الفرنسية واتصاله المباشر برموز الدولة في هذه البلاد، شبيهة بأدب الرّحلة في تراثنا الجغرافي وبمصنفات الإصلاحيين الذين كانوا حلقة الوصل بين الشرق المتأخر والغرب المتقدم ، ومحرّكا للوعي التاريخي الذي تجسد في أدبيات النهضة.

ب– الموقف من سجناء الحرب وإظهار التسامح

يظهر الحوار الذي دار بين الأمير وابن التهامي في الوقفة الموسومة ب "ضيق المعابر" خلق الحفاظ على النفس البشرية والتشدد في صيانتها. إن سلسلة الأسئلة التي تلت سماعه تفاصيل "حادثة الذبح" تؤكد هذا الخلّق وتعبّر عن شدة التحيّر من سلوك بذل

جهودا كبيرة لمحاربته لدى أتباعه. يقول الأمير محتدما بعد أن سمع القصة من أحد الأغوات ذاكرا فيها الصغيرة والكبيرة " ماذا نقول لعائلات هؤلاء الذين ذبحوا ....ما ذا أقول للذين رأوا فينا قدوة تتبع تجاه المساجين. ها قد عدنا لإسلام لا يعرف إلا الحرق والتدمير والقتل والإبادة و الغنيمة ....لقد أمضيت كل سنوات الحرب أثبت للآخرين بأنّنا نحارب ولكن لنا مروءة ورجولة. لقد دفعنا أعداءنا لتقليدنا ولكن في رمشة سكين ذهب كل شيء مع الريح" ([61]). ولما حاول القائد تبرير الحادثة واجههُ الأمير برد قاس: أعطيتك مسؤولية حماية المساجين وليس ذبحهم" ([62]).

يواصل السارد العليم بالدقائق والتفاصيل والمتعاطف مع الأمير والمقّدر خصاله الإنسانية زمن الحرب إبراز هذا الخلق العظيم الذي تحلّى به الأمير فينقل على لسان ديبوش كلمة الأمير "حيث يسيل الدم بغير حق، تسقط الشرعية" ([63]) وحين يتوارى السارد أمام الشخصيتين الحاضرتين طيلة الرواية ويتحاور ديبوش والأمير بخصوص حادثة الذبح ، ويستنكر القسّ ما وقع بمنطق الحرب وروح الإسلام ، يعاود الأمير إظهار موقفه: " ما زلت إلى اليوم عند قناعتي : النفس عالية ولا نملك حق اتلافها"([64]) ويستدل على خسارة من يقدم على قتل النفوس بهلاك أثينا بتسميم سقراط ، وإحراق نيرون لروما، ومقاتلة ابن خلدون.

لعلّ أظهر المواقف التي يتجلى فيها حرص الأمير على صيانة النفس البشرية ما كان من سلوكه إزاء العبد الذي أراد قتله فلم يفعل. لئن كان المشهد الذي حاول فيه أحد خدام العقون اغتيال الأمير وتوقف في اللحظة الحاسمة عن دفن سيفه في ظهر الأمير وهو منكفئ في قراءة القرآن ، وانحنى عند رجلي الأمير يطلب الصفح ، مشهدا خارقا تتدخل فيه قوى غير منظورة ، فإنّ ما أبداه الأمير من هدوء عجيب واتزان كبير، ودعوة العبد الضخم إلى الجلوس على الزربية التي كان الأمير يصلّي عليها وإلى قراءة كلام الله ([65]) وأمره الحرس الذين عادوا به مسلسلا إلى الأمير بإطلاق سبيله ([66]) مما يبلغ بالشخصية أوجّ عظمتها ويتوجها مثالا للتسامح.

الخـــاتمة

نظرنا في رواية "كتاب الأمير" للكاتب الجزائري واسيني الأعرج في إطار مبحث التفاعل بين التاريخي والروائي فوجدناها تتصل بعدد من الرّوايات العربية التي تألفت فيها الحكاية من أحداث التاريخ القريب أو البعيد ووسمت بعناوين ذات صبغة مرجعية من قبيل "الزيني بركات" و"أرض السواد" (لعبد الرحمان منيف) وثلاثية غرناطة (رضوى عاشور).

ولئن تخير عدد من الروائيين العرب طورا تاريخيا ممتدا من أطوار التاريخ المحلي الخاص بقطر من الأقطار العربية (جزيرة العرب – الأندلس – سوريا – فلسطين) فإن رواية واسيني الأعرج اقتطفت طورا وجيزا من أطوار التاريخ الجزائري الحديث كان الأمير عبد القادر الجزائري قطب الرّحي في أحداثه.

وأول مظهر لارتباط الرواية بالتاريخ وانفصالها عنه لاكتساب الهوية الروائية هو العنوان وتسميات الأبواب. فلئن ورد اسم الشخصية التاريخية في عنوان الرواية منسوبا إلى الكتاب فإن العنوان الفرعي مما تنفصل به الرواية عن التحديدات المرجعية المميزة للكتابة التاريخية. تزداد المسافة بين بناء النص التاريخي وهذا النص القصصي بتسميات الأبواب الثلاثة في "كتاب الأمير" وبتسميات الوقفات التي ينفتح الوسم فيها على دوائر المجاز ويبدو نازعا إلى الإيحاء بما يقع من وقفة إلى أخرى.

تلتقي هذه الرواية بالتاريخ العسكري والجهادي للأمير عبد القادر الجزائري (1808-1883) فتتشرب أحداثها وقائع سيرته في طورين أساسيين هما طور الجهاد لبناء دولة على أرض الجزائر. وطوّر التخلّي عن الجهاد اثر تسليم نفسه للقوات الفرنسية في ديسمبر 1847 ، وتعهده بعدم مقاتلة الجيش الفرنسي في الجزائر. لقد غطت حكاية الرواية خمسة عشر عاما في حياة هذا القائد المجاهد أمضى عشرة أعوام في الإعداد للقتال وخوض المعارك، وقضى الخمسة الأخرى سجينا في قصر امبواز حتى أعاد إليه لويس نابليون حريته في 16 أكتوبر 1852.

لكن الرواية التي توسلت أمشاجا من هذا التاريخ الشخصي للأمير عبد القادر تنفصل عن الكتـــابة التاريخية بجملة من مظـــاهر التأليف القصصي يستوي بها عالمها الروائي و يمتزج داخله المرجعي بالمتخيل.

يمثل ترتيب أطوار الحكاية في الرواية انشداد الزمن التاريخي للزمن الروائي. فالزمن التاريخي زمن خطي تتعاقب فيه الأحداث تباعا وفق تسلسل منطقي لا يخرج فيه بناء الأحداث عن مبدأ السببيّة. خلافا لهذا الترتيب الخطي يلغي الترتيب الروائي للأحداث هذه الخطية فيتصرف السارد أيما تصرف في مواد الحكاية تقديما وتأخيرا، تزيدا و تنقيصا بما يقيم المسافة بين التاريخ لسيرة هذا المجاهد و لبعض قادته كما تنقلها كتب التراجم والكتابات النازعة إلى توثيق السير، وتخييل قصة حياة الأمير وإعادة بنائها روائيا.

لقد هشم السارد في هذه الرواية منطق التسلسل الزمني فبعثر أطوار التاريخ واستبق العديد من الأحداث واسترجع غيرها سدا لفراغات الحكاية وأدرج فيها شخصيات جعلها تنشدُّ إلى الأمير وتتابع حياته وأزماته. وأظهر ما يبدو به التصرف الروائي في القصة التاريخية الخاصة بالأمير عبد القادر افتتاح الرواية بأمشاج من سيرة القس ديبوش واختتامها بها. فبداية السرد تخص تنفيذ جون موبي لوصية المونسنيور والأحداث فيها مؤرخة بـــ 28 جويلية 1864، والسارد يستعيد بعض أطوار في حياة هذا القس فيتراجع التاريخ إلى سنة 1838 حين تسلم تمثال العذراء من يدي أسقف باريس. و أما النهاية في القسم المعنون بالاميرالية (4) فهي تصف مراسم نقل رفات القس إلى الجزائر تنفيذا لوصيته. إن القارئ لسيرة هذا الرجل مضطر إلى ترتيب أطوارها حتى تستوي في ذهنه قصة متكاملة و منسجمة. و الشأن نفسه مطلوب عند قراءة القصة الأصلية التي دارت في فلكها القصة الفرعية الخاصة بديبوش.

إن أول ذكر للأمير يرد في الوقفة الثانية الموسومة بـــ"مترلة الابتلاء الكبير" وفيها يتحاور ديبوش والكولونيل أوجين دوما عند مدخل قصر هنري الرابع في بو Pau (في نوفمبر 1848) ويظهر كل منهما الثناء على الأمير والانبهار بسيرته وخلقه العظيم،

ويقوم القس بزيارة الأمير السجين محاولا التخفيف من بلواه. إن السرد الروائي لهذه القصة من جهة الترتيب الزمني للأحداث فيها يختلف تماما عن السرد التاريخي الذي يحافظ على التسلسل الزمني فلا يقدم أحداثا و لا يؤخر أخرى، لقد عمد السارد في كتاب الأمير إلى قلب هذا الترتيب فبدا سرده لسيرته من النهايات ثم عاد إلى الطور الأساسي فيها لما كان الأمير يخوض الجهاد ويعدّ له الخطط والعدة و يمضي الاتفاقيات في عقد من الزمان كان أشبه بتاريخ سنوات الجمر، وتابع السارد ما أعقب تسليم الأمير نفسه والتزامه بعدم القتال فصار سرده آنيا وصار السارد مرافقا للأمير في تنقلاته داخل فرنسا و معاينا مشاهدته لمعالم الحضارة قبل ان يقطع عملية السرد ويقصي من الحكاية الأصلية لسيرة الأمير وأطوار حياته طورها الأخير في بلاد المشرق.

تتصل هذه الرواية بتاريخ الجهاد الجزائري ضد الجيش الاستعماري الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر، وتتخير طورا من أطوار هذا الجهاد يكون الأمير عبد القادر عنوانه البارز وعلمه الوضّاء. لكنّ الرواية و هي تستند في بناء حكايتها إلى هذا التاريخ المعلوم الذي أفاضت المصنفات والدراسات في الإبانة عن أسراره و تفاصيله، تنفصل عن التاريخ وتبني فضاءها التخييلي بقلب مجريات الأحداث و بالتصرف في التواريخ تقديما وتأخيرا، اقتطاعا وتأليفا.

تؤكد شبكة الشخصيات المتكاثرة في الرواية و طبيعة العلاقة الرابطة بينها وألوان المحاورات والمناجاة الدائرة بين الشخصيات حيوية هذا الأثر واقتدار السارد على لم شتات القصص الفرعية المنتظمة في إطار القصة الأصلية للأمير، و على مداخلة بواطن الشخصيات استكشافا لأغوارها المحجبة، وعلى تصوير أوقات الأزمات الحالة بها وذلك من قبيل ما كان مع شخصية القس و الأمير و بعض قادته (ابن التهامي) وبعض قادة الجيش الفرنسي.

ومما تكتسب به الرواية روائيتها و طابعها القصصي المميز لوحات تصوير المعارك التي تدور رحاها عنيفة صاخبة و يظهر فيها المتحاربون بطولة نادرة و استبسالا عجيبا على نحو ما كان من الأمير وبعض قادته في محاربة عسكر بني ايزناسن والريافة (الفارس البوخاري – سيدي مبارك بن علال) لقد شكلت هذه اللوحات مشاهد ملحمية تصل

الرواية بالشعر الملحمي و أدب الفروسية في نصوص ضاربة في الزمان الأبعد وتشد فيها قوة التصوير الأنفاس و يتولد منها عظيم التأثير في النفوس.

وإذا كانت لغة السرد التاريخي تتوسل التقرير سبيلا إلى نقل حقيقة ما جرى إخبارا دقيقا وتعليما مفيدا وتصحيحا لمواد التاريخ من كل خلط أو تزيد أو تزييف فإنّ الكلام الروائي([63]) في كتاب الأمير قد يتشرب لغة المجاز والإيحاء حين يصوغ الاستعارات و يبني التشابيه تمثيلا لأوضاع شديدة الاختلاف كأن يقول الأمير مقارنا بين تراجع المسلمين وسبق الأوروبيين إلى مراقي الحضارة:"لقد طاروا وانكسرت أجنحتنا الصغيرة" و أن يمهد السارد لتصوير أوضاع معقدة في الحرب التي يخوضها جيش الأمير أو في المصير الذي ينتظر أرض الجزائر عامة ومدينة وهران تحديدا لما عوض كلوزيل الحاكم العام دروي ديرلون و بدأت الحرب الفعلية في 01 أوت 1835([64]).

هذه البدايات المصورة التي تتلون بها الطبيعة ألوانا ملائمة لما سيدور من أحداث ولما سيتحدد من مصائر، تشيع أجواء التخيل القصصي و تُعدُّ ضروبا من الاستباقات السردية أو الإشارات الركحية التي تمكن المخرج من إحكام الديكور و توزيع الأدوار وإتقان التمثيل.

والرواية التي تستند إلى التاريخ لا تكفّ عن الالتفات إلى جنسها وعن إيفاء الروائي فيها حقّه. فإذا كانت الكتابة التاريخية تنشد الحيادّ وتتجنب الانحياز إلى ما تسرد بحثا عن الموضوعية التاريخية الكلية والنسبية أحيانا حين تروم إعادة بناء ما جرى وترميم ما انقضى فإن الكتابة الروائية في هذا الأثر لا تني عن إبداء الأحكام وعن إظهار المواقف التي تنحاز بها إلى شخصيات المجاهدين وعن تقديم الشهادات التي تشيد بهم وتثني على سلوكهم حتى في أعقد الأوضاع. إن الرواية حافلة بالتعليقات تصدر من السارد أو يوكل أمرها إلى الشخصيات – الحلفاء والأعداء – إيهاما بحياده. وأكثر هذه التعليقات والشهادات دورانا في العالم المتسع للرواية ما كان خاصا بالأمير والقس ديبوش لأنهما مثلا فيها الوجه والقفا للعملة النادرة، ونظام القيم المثلى الذي عد أنموذجا لحياة الإنسان.

إن الرّواية التي تستند في بناء عالم الأحداث والشخصيات إلى وقائع التاريخ المحلي الجزائري لا تكتفي بإيراد ما جرى وبسرد حادثات يمكن التثبت من طبيعتها المرجعية بالرجوع إلى الوثائق وأرشيف حركة الجهاد في الجزائر أيام الاستعمار الفرنسي. لقد تضمنت عديد المواقف والتعليقات الخاصة بنظام قيم عدته مثاليا وقدمت قراءة للتاريخ الحاضر والآتي. وأبلغ ما كان من تعبير القص فيها عن الوعي التاريخي أقوال كثيرة أجريت على لسان الأمير تأمل فيها أحوال الغرب وأحوال العرب المسلمين ونبه من خلالها إلى تزايد البون الحضاري وإلى ضرورة الإسراع بتدارك هذا البون قبل فوات الأوان.

لعلّ هذا الوعي التاريخي الذي تنطوي عليه أقوال الشخصية القصصية في رواية تبدو تاريخية، أمر تشترك فيه مع روايات عربية أخرى من قبيل الزيني بركات لجمال الغيطاني و"باب الشمس" لا لياس خوري. ففي الرواية الأولى تحيين لمشاكل الحكم المملوكي في مصر ومعاينات قام بها الرحالة الايطالي "فيسكونتي" لأوضاع القاهرة وما يعانيه السكان من عسف السلطان وتهديد للحريات. وفي الرواية الثانية حاكم الدكتور خليل أيوب الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية على ضيق أفقها التاريخي حين لم تواجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين مواجهة حقيقية ولّما لازمت الصّمت "حين كان الوحش النازي يقوم بإبادة اليهود في أوروبا" ([65]).

شحن الرواية بهذه المواقف التي ينبني بها المنظور الروائي هو ما يميز السرد التاريخي من السرد الروائي ويمنح الرواية ذات العمق التاريخي الأهمية والقيمة الإبداعية إذ بهذه التعليقات والتعقيبات على المسرود لا تكون الرواية مجرّد وثيقة تخبر بما جرى وتستعيد ما انقضى.وإذ أخذنا بالتقسيم الذي أورده محمد القاضي في مقاله الخاص بالرواية والتاريخ ([66]) واعتبرنا "كتاب الأمير" رواية تكتب التاريخ بطريقة استدعاء الوقائع والشخصيات التاريخية" خلافا لما سمّاه صاحب المقال "طريقة إيجاد مناخ تاريخي" وقد اتبعتها رضوى عاشور في عملها ثلاثية غرناطة" نبهنا إلى أن الطريقة الأولى التي اتبعها واسيني الأعرج وهو يكتب تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري ويورد حشدا من الأحداث التاريخية، وينسج شبكة من الشخصيات المحلية والأجنبية وينقل أقوالها في

لغتها الأصلية، طريقة أتاحت له التحرك بين المرجعي والتخيلي والمراوحة بين السرد التاريخي والسرد القصصي، وأمدت السّارد في هذه الرواية بقدرات عجيبة على الفصل والوصل بين مواد الحكاية وعلى تأثيث السرد التاريخي وما هو من قبيل تسجيل الوقائع بألوان من المجاز والإيحاء صبغت الأداء الروائي في هذا النص المطول بأصباغ الفن الأدبي/.

الهوامـــش:

1 Gerard Genette, Fiction et diction, Seuil, 1991 p.73.

2 Paul Ricœur, Temps et récit, Tomme II Seuil, p.230

3 واسيني الأعرج، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر (الجزائر العاصمة)الطبعة الأولى نوفمبر 2004.

4 سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل الى نظرية القصة ، ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر الدار التونسية للنشر– سلسلة علامات (د.ت) ص.ص 90-91.

5 يقول الأمير في سياق حواره مع السي مصطفى بن التوهامي: "لقد شاء الله أن تنتهي هذه الحرب ، يجب أن نقبل بهذا القدر قاتلنا مدّة خمس عشرة سنة لانقاذ شعبنا من غطرسة الغزاة، فماذا يمكننا اليوم أن نفعله في هذه الأوضاع التي نحن فيها؟ "كتاب الأمير" ص.406.

6 انظر الصفحات 498-499-500.

7 كتاب الأمير الصفحات 9-14-18-22-40-56-58-59-93-100-106-111-120-149-170-202-221-246-266-308-337-367-482-491-495-503-524-546.

8 كتاب الأمير ، الصفحات 546-14-15

9 كتاب الأمير ص 22.

10 نفسه ص 367 ص435.

11 نفسه ص 54 ص482.

12 كتاب الأمير ص 11.

13 نفسه ص 54.

14 نفسه ص 79 والرسالة مؤرخة في 3 رجب 1248 (27 نوفمبر 1932).

15 كتاب الأمير ص 88 .

16 نفسه ص 106.

17 نفسه ص 93.

18 نفسه ص 120.

19 نفسه ص 178.

20 نفسه ص 246.

21 نفسه ص 369.

22 نفسه ص 495.

23 نفسه ص 503.

24 نفسه ص 524.

25 كتاب الأمير ص 495.

26 كتاب الأمير ص 149 .

27 نفسه ص 266.

28 نفسه ص 47.

29 نفسه ص 495.

30 نفسه ص ص 266-267.

31 كتاب الأمير ص 270.

32 نفصه ص 495 ص 498.

33 نفسه ص 504.

34 نفسه ص 514-ص515.

35 كتاب الأمير ص 266.

36 أرسطوطاليس، فن الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمان بدوي دار الثقافة، بيروت (د.ت) ص30.

37 مما ورد في خطبة تسلمه لمهامه قوله "لقد بذلت مجهودات كبيرة لاقناع بلادي بالاستيلاء الكلي والنهائي على الجزائر ....والآن يجب احضاع العرب وتسليط الحرب الشاملة .....لا نفع من وراء حملة بدون استيطان سأكون معمرا متحمسا إذا استطعت أن أؤسس لشيء دائم لفرنسا كتاب الأمير ص 266-267.

38 كتاب الأمير ص 269.

39 يختلف هذا الوضع في هذه الرواية عما تضمنته رواية مدارات الشرق لنبيل سليمان التي عنيت في الجزء الأول من هذه الرباعية (الأشرعة، بنات نعش، التيجان، الشقائق) بسيرة الجنود الذين شاركوا في مرحلة قيام الحكومة العربية بعد الحكم العثماني والفرنسي.

40 كتاب الأمير ص 472.

41 نفسه ص 472 ص 496.

42 نفسه ص 299.

43 نفسه ص 412 .

44 نفسه ص 471.

45 كتاب الأمير ص 511.

46 الرواية ص 96.

47 كتاب الامير ص 10.

48 نفسه ص 546-547.

49 كتاب الأمير ص 211.

50 كتاب الأمير ص 213.

51 نفسه ص 218.

52 من أبرز هذه المشاهد تدمير عين ماضي ص 245.

53 كتاب الأمير ص 175.

54- نفسه، الصفحة ذاتها يحسن التنبيه هنا إلى المآخذ الكثيرة على كتابة السيرة الذاتية التي يدّعى أصحابها الصّدق والصّراحة والموضوعية والقدرة على استعادة ما جرى مثلما جرى حقّا رغم ثغرات الذّاكرة وإكراهات الوعي والمجتمع.

55 نفسه ص 520.

56 كتاب الأمير ص 521.

57 نفسه ص 521.

58 نفسه ص 455.

59 نفسه ص 456.

60 كتاب الأمير الصفحتان ص 502- ص503

61 كتاب الأمير ص ص 358-359.

62 نفسه ص 359.

63 نفسه ص 362.

64 نفسه ص 363.

65 نفسه ص 375.

66 كتاب الأمير ص 376: " أطلقوا سبيله ...أعطوه حصانا وساعدوه على تخطي الحواجز المنصوبة